التفسير النبوي للقرآن

تأليف

فضيلة الشيخ

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على موقع الإسلام اليوم

مقدمة*

(الحَمدُ لله الَّذِي أَنـزَلَ عَلَـى عَبـدِهِ الكِتَـابَ وَلَـم يَجعَـل لَـهُ عوَجًا ▪ قَيِّمًا لِيُنـذِرَ بَأسًـا شَـدِيدًا مِن لَدُنهُ وَيُبَشِّرَ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجـرًا حَسَنًا ▪ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَـدًا ▪ وَيُنـذِرَ الَّـذِينَ قَـالُوا اتَّخَـذَ اللـه وَلَـدًا) [الكهف:1-4].

---

* أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيت في بريدة عام (1412هـ) ثم قام المكتب العلمي بموقع الإسلام اليوم بإعدادها في هذا الكتيب.

والصلاة والسلام على رسوله القائل -كما في حديث المقدام رضي الله عنه وغيره-: "**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته أن يقول حين يأتيه الأمر من أمري فيما أمرت به، أو فيما نهيت عنه، فيقول: عندنا كتاب الله حسبنا، ألا وإن ما حرم رسول الله** صلى الله عليه وسلم **كما حرم الله تعالى**"[1].

أمَّا بعد:

فإن من نعمة الله تعالى على الناس أجمعين أن توجد بين أظهرهم كلمات الله المنزلة محفوظة من الزيادة والنقصان.

ولعل هذه أعظم نعمة يفيض الله تعالى خيرها على البشر أجمعين، أن يكون بين أيديهم كتاب محفوظ، يحكِّمونه في حياتهم، ويحتكمون إليه فيما يقع بينهم من اختلاف، وذلك بعد أن حُرِّفت الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وغيرها، وضاع أكثرها، ولعبت بها أيدي التغيير والتبديل، قال تعالى: **(فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِن عِندِ اللهِ لِيَشتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيلٌ لَهُم مِمَّا يَكسِبُونَ)** [البقرة:79].

ولذلك كان علم التفسير من أعظم العلوم على الإطلاق؛ إذ هو الطريق إلى فهم معاني القرآن الكريم ومراد الله سبحانه وتعالى من خلقه، ومن هنا اعتنى العلماء -سلفًا وخلفًا- بهذا العلم اهتمامًا عظيمًا، وصنَّفوا فيه الكثير من المصنفات.

وقد بدأت مسيرة تفسير كتاب الله تعالى في عهد النبوة؛ حيث يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم المرجع الأول في تفسير كتاب الله تعالى، فقد فسّر آيات الكتاب العزيز بقوله وعمله صلى الله عليه وسلم.

وسوف نتناول في هذه الرسالة موضوع: التفسير النبوي للقرآن الكريم، وذلك من خلال الفصول الآتية:

- **الفصل الأول:** خصائص القرآن الكريم.
- **الفصل الثاني:** عناية الأمة بتفسير القرآن الكريم.
- **الفصل الثالث:** البلاغ النبوي للقرآن الكريم.
- **الفصل الرابع:** تفسير الصحابة للقرآن الكريم.
- **الفصل الخامس:** أنواع بيان السنة للقرآن الكريم.

الفصل الأول

خصائص القرآن الكريم

إن القرآن الكـريم كلام الله تعالى، وهـذه أعظم مزايا وخصائص القــرآن الكريم، فحسبه أنه كـلام الله.

وقد وصـفه اللـه عـز وجـل بقـوله: **(وَإِنَّــهُ لَكِتَــابٌ عَزِيــزٌ ▪ لا يَــأتِيهِ البَاطِـلُ مِـن بَيـنِ يَـدَيهِ وَلا مِـن خَلفِهِ تَنـزِيلٌ مِـن حَكِيـمٍ حَمِيـدٍ)** [فصلت:41، 42].

وكما جـاء فـي الحـديث الـذي رواه الترمذي وغيره، أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال:"**فضـل القـرآن على سـائر الكلام، كفضـل اللـه تعالى على خلقه**"[2].

إذًا فكـون القـرآن كلام اللـه، فهـذا يغنــي عــن تعــداد خصــائص القــرآن وفضائله ومزاياه، لكن أجدني مضطرًّا إلى أن أشير إلـى ثلاث خصـائص لهـذا القرآن؛ لابد من ذكرها في مطلع هـذه الرسالة:

الخاصية الأولى: الحفظ:

قــال تعــالى: **(إِنَّــا نَحــنُ نَزَّلنَــا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [الحجــر: 9].

لقد قيَّض الله تعالى للقرآن منذ نزل من يحفظه من الصحابة ومن بعدهم في الصدور وفي السطور، وبلغت عناية المسلمين بالقرآن الكريم، وتدوينه، وكتابته، وحفظه، وضبطه شيئًا يفوق الوصف، حتى إن جميع حروف القرآن وكلماته مضبوطة محفوظة بقراءاتها المختلفة لا يزاد فيها ولا ينقص.

وقد ذكر بعض المفسرين -كالقرطبي وغيره- قصة طريفة تتعلق بحفظ القرآن الكريم.

وذلك أنه كان للمأمون -وهو أميـر إذ ذاك- مجلس نظـر، فـدخل فـي جملـة النــاس رجــل حســن الثــوب، حســن الوجه، طيب الرائحة، فتكلــم فأحســن الكلام والعبارة، فلما تقوَّض المجلــس دعاه المأمون، فقــال لــه: إســرائيلي؟ قال: نعم، قال لـه: أسـلم حـتى أفعـل بك وأصنع، ووعده، فقال: ديني، وديـن آبائي، وانصرف.

فلمَّا كان بعد سنة جاء مسلمًا، فتكلم في الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون، وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى، قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببتُ أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط.

فعمدتُ إلى التوراة، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة، فاشتريت مني.

وعمدتُ إلى الإنجيل، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة، فاشتريت مني.

وعمدتُ إلى القـرآن، فعملـت ثلاث نسـخ، وزدت فيهـا ونقصـت، وأدخلتهـا الوراقين فتصـفحوها، فلمـا أن وجـدوا فيها الزيادة والنقصان، رمـوا بهـا فلـم يشــتروها، فعلمــت أن هــذا كتــاب محفوظ؛ فكان هذا سبب إسلامي[3].

الخاصــية الثانيــة: الشــمول والكمال:

فإن هذا الكتاب -كما قـال اللـه عـز وجـل فيـه-: **(تَفصِيلَ كُـلِّ شَـيءٍ)** [يوسف:111].

فمـا مـن أمـر يحتـاجه النـاس فـي دينهم أو دنياهم إلا فـي القـرآن بيـانه، سـواء بـالنص عليـه، أو بـدخوله تحـت قاعدة كلية عامة بينها الله تعالى فـي كتابه الكريم، أو بالإحالـة علـى مصـدر آخر؛ كالإحالة علـى السـنة النبويـة، أو القياس الصحيح، أو إجماع أهل العلم، أو ما أشبه ذلك.

فما من قضـية يحتاجهـا النـاس فـي اجتماعهم، أو أخلاقهم، أو عقائـدهم، أو اقتصــادهم، أو سياســتهم، أو أمــورهم الفرديــة أو الاجتماعيــة، الدنيويــة أو الأخروية، إلا وفي القرآن بيانها إجمـالا أو تفصيلاً.

فجاء القرآن بأصول المسائل؛ فأصول العقائد؛ وأصول الأحكام في القرآن الكريم، فالقرآن شامل كامل مهيمن على جميع شئون الحياة.

الخاصية الثالثة: الحق المطلق:

إن القرآن الكريم هو الحق المطلق الذي لا ريب فيه، قال تعالى: **(ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيبَ فِيهِ هُدًى لِلمُتَّقِينَ)** [البقرة:2].

فالقرآن حق كله، وصدق كلـه، فهـو -فيما أخبر به عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل- صـدق، ويسـتحيل استحالة مطلقة قطعية لا تردد فيهـا أن يتعارض خبر القرآن مع الواقع، أو مع التاريـخ الماضـي، أو مـع مـا يكتشـفه العلم في المستقبل.

فنجزم ونقطع بلا تردد -من منطلق إيماننا بالله العظيم- أن كل ما أخبر به القرآن عن الأمـم السـابقة، مـن أخبـار الأنبياء، وأخبار الأمم والدول، والقصص والأخبـار فـي الواقـع، وفـي الكـون، والفلك، والنجوم، والأرض، والسماء، والأرحام، والنفس البشرية... أنه صدق وحق قطعي لا تردد فيه.

ولذلك يستحيل أن يثبت العلم حقيقة تتناقض مع ما جاء في القرآن، ومن ادّعى أن هناك حقيقة علمية تناقض القرآن، فهو إما أنه لم يفهم القرآن حق فهمه، فظن أنه يناقض العلم، أو لم يفهم العلم حق فهمه، فظن أنه يناقض القرآن.

أما أن توجد حقيقة علمية تناقض نصًّا قطعيًّا صريحًا، فهذا لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال؛ لأن الذي أنزل القرآن هو الذي خلق الأكوان، وأوجد الإنسان، فلا يمكن أن يخبر عن الإنسان أو عن الأكوان إلا فيما هو الحق والواقع. (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

وكذلك ما أخبر به الله عز وجل في القرآن من الأخبار المستقبلة في آخر الدنيا، أو في يوم القيامة، فإنه لابد أن يكون حقًّا لا شك فيه.

فأخبار الله تعالى في القرآن صدق لا ريب فيها، وأحكامه في القرآن عدل لا ظلم فيها ؛ ولذلك يقول الله عز وجل: **(وَتَمَّت كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدقًا وَعَدلاً)** [الأنعام:115]، صدقًا في الأخبار: ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، وعدلاً في الأحكام: خاصها وعامها، فرعها وأصلها، فهو الحق المطلق الذي لا شك فيه.

نعمة القرآن:

والقرآن هو الميزان والفيصل فيما يشتجر فيه الناس ويختلفون فيه من أمور الدين، وبذلك تُعرف نعمة الله تعالى بحفظ هذا القرآن إلى هذا الزمان، وأنه نعمة كبرى على المسلمين؛ بل على البشرية كلها.

وشكر هذه النعمة أن يكون القرآن هو المهيمن على حياتنا: أفرادًا، وأسرًا، ومجتمعات، ودولاً، وأممًا، بحيث يكون القرآن هو المحكَّم في كل أمورنا.

وإذا لـم نفعـل نكـون كفرنـا هـذه النعمـة، وعقوبـة كفـران هـذه النعمـة عقوبــة أليمــة، وهــي أن يُرفــع هــذا القرآن مـن بيـن أيـدينا، فلا يبقـى فـي الأرض منه آية.

روى ابن ماجة وغيره بسند صحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية"**[4]، فيُنتزع القرآن من المصاحف ومن صدور الرجال؛ لأنه لا يُعمل به، فتعطلت منافعه، فرفعه الله تعالى تكريمًا لكلامه العظيم أن يوضع عند من لا يستعينون به، ولا يستحقونه.

* * *

الفصل الثاني

عناية الأمة بتفسير القرآن الكريم

نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه عنه أصحابه، ثم تلقاه عنهم المسلمون، وعنوا به عناية كبيرة، وكان من أوجه عنايتهم به عنايتهم بتفسيره.

عناية الصحابة بتفسير القرآن الكريم:

كان الصحابة يعنون بتفسير القرآن، حتى كان منهم من اشتهر بذلك[5]، فصرفوا حياتهم ووقتهم في فهم معاني القرآن الكريم، ومن هؤلاء:

- **عبد الله بن عباس**[6] رضي الله عنهما:

حبر الأمة، وترجمان القرآن[7]، وإمام المفسِّرين، الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**"[8]، وقد ورد عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من قراء الصحابة، وسيد الحفاظ[9].

- **عبد الله بن مسعود**[10] رضي الله عنه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد** -أي عبد الله بن مسعود- فبدأ به، **ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة**"[11].

وقال عبد الله بن مسعود: "والله، لقد أخذت من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم"، قال الراوي: فجلستُ في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعتُ راداًّ يقول غير ذلك[12].

وقال رضي الله عنه -كما في الرواية الصحيحة عنه-: "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[13].

ومن الصحابة رضي الله عنهم من ورد عنه اليسير في تفسير القرآن الكريم، ومن هؤلاء[14] عمر وعلي وأبي بن كعب و **عبد الله بن عمر**[15] رضي الله عنهم:

روى مالك في الموطّأ أن ابن عمر رضي الله عنه مكث في تعلم سورة البقرة ثماني سنين[16]، فلمّا أتمّها نحر بَدَنَة شكرًا لله تعالى، وهو لا شك كان يتعلم البقرة ألفاظًا ومعاني، وإلا فصغار الطلبة اليوم في المدارس الابتدائية يحفظون سورة البقرة في أسبوع أو في شهر، حاشا ابن عمر أن يحتاج إلى ثماني سنين في حفظ ألفاظها فحسب؛ بل كان يتفهمها ويتلقاها ألفاظًا ومعاني.

عناية التابعين بتفسير القرآن الكريم:

وكذلك التابعون تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، فكان منهم أئمة في التفسير كمجاهد بن جبر المكي[17]، الذي يقول فيه سفيان الثوري: "إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به"[18]، وليس هذا بغريب؛ فقد تلقى عن ابن عباس، حتى إنه كان يقول: "عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية"[19].

وكذلك ممن عرف بالتفسير من التابعين: قتادة[20]، وعكرمة[21]، والسدي[22]، وغيرهم كثير من التابعين وأتباعهم[23].

المصنَّفات في التفسير:

ثم انتهى الأمر إلى الأئمة المصنفين، فصنفوا مئات -بل ألوف- الكتب في تفسير كتاب الله تعالى بمختلف الفنون، فأهل اللغة صنفوا كتبًا في تفسير القرآن من النواحي اللغوية؛ في الإعراب، والبلاغة، والبيان، والبديع، وغيرها[24]...

وأهل الفقه صنَّفوا كتبًا فـي معـاني آيـات الأحكـام، وتفسـيرها، ودلالاتهـا، واختلاف العلماء فيها[25].

وأهل الحديث صنَّفوا كتبًا فـي جمـع الروايــات الــتي وردت فــي تفســير معاني كتاب الله تعالى[26].

وهكذا أهل كل فن صنفوا كتبًا في التفسير، تتناول القرآن من الزاوية التي يحسنونها ويتحدثون فيها، وهذه الكتب لاشك فيها الغث والسمين، والقوي والضعيف، والجيد والرديء؛ بل إن بعض الذين فسروا القرآن الكريم، فسروه ليوافق ما لديهم من الأغراض، سواء أكانت حقًّا أم باطلاً.

فالمعتزلة -مثلاً- منهم من فسَّر القرآن ليخدم مذهبه الفاسد، كما فعل القاضي عبد الجبار[27] في تفسيره[28]، وكما فعل الزمخشري[29] في كشافه ، حيث جعل القرآن دليلاً لمذهبه في الاعتزال[30].

وكذلك بعض المتكلمين، فسّروا القرآن ليوافق آراءهم وأصولهم، كما فعل الرازي[31] في تفسيره الكبير[32]، والماتُريدي، وغيرهم.

ومن الصوفية من يفسِّر القرآن ليخدم مذهبه الصوفي، كتفسير أبي عبد الرحمن السلمي وغيره[33].

وبعض الفقهاء فسَّروا آيات الأحكام تفسيرًا يخدم اتجاهاتهم المذهبية، ويؤيد ما اختاروه من الأقوال الفقهية.

ووُجد من أرباب العلوم -خاصة المعاصرين- من يحاول أن يحمّل القرآن وألفاظه ما لا يحتمل من الدلالة على أنواع العلوم العصرية، كما فعل طنطاوي جوهري في تفسيره المسمّى "بالجواهر"[34]، والذي فيه كل شيء إلا التفسير، فهو كتاب في الفلك، والعلوم المادية، والأحياء، والفيزياء، والجيولوجيا، لكن ليس فيه شيء من تفسير القرآن الكريم.

وكما يفعل بعض الذين يتحدَّثون عمّا يُسمى "الإعجاز العلمي للقرآن"، فإن منهم من يغلو فيحمِّل ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ما لا تحتمل؛ لتوافق بعض مكتشفات ومخترعات العلم؛ بل بعض النظريات العلمية التي لم تصل بعد إلى حد أن تكون حقيقة قطعية ثابتة.

* * *

الفصل الثالث

البلاغ النبوي للقرآن الكريم

إن هذا الخلاف في تفسير القرآن الكريم، يوجب على المسلم الحريص على معرفة كلام الله عز وجل أن يعود إلى المصدر الأول والمنبع الصافي، ألا وهو سنة الرسول عليه الصلاة والسلام الصحيحة الثابتة، فهي خير ما يفسِّر كتاب الله تعالى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أُمِرَ بالبلاغ، قال تعالى: **(إِن عَلَيكَ إِلاَّ البَلاغُ)** [الشورى:48]، وقال: **(لا تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ ▪ إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرآنَهُ ▪ فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ ▪ ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُ)** [الإنسان:16]، وقال: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ)** [المائدة:67].

فالرسـول عليـه الصـلاة والسـلام مطـالب بـالبلاغ والبيـان، لكـن مـا هـو البلاغ الذي طولب بـه الرسـول صـلى الله عليه وسلم؟

إن البلاغ النبـوي للقـرآن الكريـم يشتمل على الأمور الآتية:

أولاً: بلاغ الألفاظ:

والمقصود به بلاغ النبي صـلى اللـه عليه وسلم لألفاظ القرآن الكريم كمـا نزلـت، وكمـا بلغـه جبريـل إياهـا، دون زيادة أو نقص.

يقول الله عز وجل في سورة آل عمران: **(لَقَد مَنَّ اللّه عَلَى المُؤمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أَنفُسِهِم يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِهِ)** [آل عمران:164]، فالبلاغ النبوي لألفاظ القرآن الكريم هو المقصود بقوله تعالى: **(يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِهِ)**.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على بلاغ ألفاظ القرآن الكريم، حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما يقول -كما في الحديث المتفق عليه-: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه"، "فأنزل الله عز وجل: (**لا تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ ▪ إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرآنَهُ**) [القيامة:16، 17]، قال: جَمعه في صدرك ثم تقرؤه، (**فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ**) [القيامة:18]، قال: فاستمع له وأنصت، ثم إن علينا أن تقرأه، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله

عليه وسلم كما أقرأه"[35].

وهذا البيان اللفظي جزء من البلاغ الذي أُمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ ألفاظ القرآن الكريم بلاغًا تامًّا، ولم يكتم شيئًا مما أُنزل عليه.

ولو كان الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم كتم شيئًا مما أُنـزل عليه، لكتـم هذه الآيــة: **(وَإِذ تَقُولُ لِلَّـذِي أَنعَـمَ اللهُ عَلَيهِ وَأَنعَمتَ عَلَيـهِ أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ وَاتَّـقِ اللـه وَتُخفِـي فِــي نَفسِــكَ مَــا اللــه مُبــدِيهِ وَتَخشَـى النَّـاسَ وَاللـه أَحَـقُّ أَن تَخشَاهُ)** [الأحزاب:37]، فهذه الآية فيها عتاب شديد للرسول صـلى اللـه عليـه وسلم، ثـم يقـوم الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم فيقرؤها علـى النـاس فـي الصلاة وفي غيرها وهو المخاطب بها!!

أو يكتم هذه الآيات: **(عَبَسَ وَتَوَلَّى ▪ أَن جَاءَهُ الأعمَى ▪ وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ▪ أَو يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكرَى ▪ أَمَّا مَنِ استَغنَى ▪ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ▪ وَمَا عَلَيكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ▪ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسعَى ▪ وَهُوَ يَخشَى ▪ فَأَنتَ عَنهُ تَلَهَّى)** [عبس:1-10]، ففيها عتاب شديد للرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك يتلو هذه الآيات على الناس كما نزلت عليه!!

إن الله تعالى اختار محمدًا صلى الله عليه وسلم على علم على العالمين، قال تعالى: **(الله أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ)** [الأنعام:124]، اختار رجلاً يعلم أنه لن يكتم شيئًا مما يوحى إليه، فحتى الآيات التي عاتبه ولامه الله فيها على بعض ما صدر منه صلى الله عليه وسلم، ينقلها للناس كما ينقل الآيات التي مُدح فيها!.

فيقرأ على الناس قول الله جل وعلا له صلى الله عليه وسلم: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** [القلم:4]، ويقرأ عليهم قوله تعالى: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُم تَرَاهُم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللهِ وَرِضوَانًا)** [الفتح:29]، كما يقرأ الآيات التي فيها اللوم والعتاب، سواء بسواء.

إذًا يجزم كل موحِّد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ القرآن الكريم بألفاظه بلاغًا تامًّا لا ريب فيه.

ثانيًا: بلاغ المعاني:

كان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم شــديد الحــرص علــى البلاغ اللفظــي للقرآن الكريم، لكنه – صلى اللـه عليـه وسلم – لم يكتـف ببلاغ ألفـاظه ولكـن بلغهم معانيه أيضاً.

إن تبليغـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لمعـاني كتـاب اللـه تعـالى هـي بنـص كتاب الله تعالى جزء مـن مهمتـه فـي البلاغ، فمن مهمة الرسول صـلى اللـه عليه وسلم ومسئوليته أن يبلّغ النــاس ألفاظ القرآن ومعانيه.

فبعد أن قال تعالى: **(لا تُحَرِّك بِـهِ لِسَـانَكَ لِتَعجَـلَ بِـهِ ▪ إِنَّ عَلَينَـا جَمعَـهُ وَقُرآنَـهُ)** [القيامـة:16، 17]، وهذا هو البلاغ اللفظي كما سبق، قال سـبحانه: **(ثُـمَّ إِنَّ عَلَينَـا بَيَـانَهُ)** [القيامـة:19]، أي: علينـا أن نـبين لـك لفظه ومعناه.

وبعد أن قال تعالى: **(رَسُولاً مِـن أَنفُسِهِم يَتلُـو عَلَيهِـم آيَـاتِهِ)** [آل عمـران:164]، قـال: **(وَيُزَكِّيهِـم)**، والتزكية تعني أن الرسول صـلى اللـه عليه وسلم يربي أصحابه على القـرآن الكريـم، بحيـث يتحـوَّل القـرآن مـن مجرد كتاب مكتوب ومقروء إلى واقـع حياة عملية، تتحقق على ظهر الأرض.

حتى قال بعضهم: "إن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، كان الواحد منهم كأنه قرآن يمشي على الأرض"، وهذا التعبير ليس بعيدًا، فإن عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، قالت للسائل -كما في مسلم وغيره-: "أتقرأ القرآن؟"، قال: "نعم"، قالت: "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[36].

فهـــذا معنـــى قـــوله تعـــالى: **(وَيُزَكِّيهِـــم)** أي: يربيهـــم ويزكيهـــم بالعقائد الصـحيحة، والأخلاق الفاضـلة، والسـلوك الحسـن، ويعـد ُهم للـدور العـالمي الـذي ينتظرهـم لقيادة البشرية.

ثـم قـال تعـالى: **(وَيُزَكِّيهِـم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَـةَ)**، فمـا الكتاب؟ وما الحكمة؟

قال الشافعي: "قال تعالى: (**وَاذكُرنَ مَا يُتلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِن آيَاتِ الله وَالحِكمَةِ إِنَّ اللـه كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**) [الأحزاب:34]، فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله"[37].

إذن إذا تأملنا قول الله تعالى: **(رَسُولاً مِن أَنفُسِهِم يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ)** [آل عمران:164]، فإننا نلاحظ أنه في أول الآية قال: **(يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِهِ)**، أي: يقرأ عليهم القرآن ويتلو عليهم ألفاظه، وهو البيان اللفظي للقرآن، فإذا ضبطوا القرآن وحفظوه وأتقنوه، انتقل إلى مرحلة أخرى، وهي: **(وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ)**، يعني: يفقههم في معاني القرآن، ويعلمهم معاني ما حفظوه وضبطوه، ثم ينتقل إلى مرحلة ثالثة، وهي: (**وَيُزَكِّيهِم)**، أي: يؤدِّبهم بهذا الكتاب حتى يعملوا به وهي التزكية.

ولـذلك قـال أبـو عبـد الرحمـن الجهني[38]: حدَّثنا من كان يقرئنـا مـن أصحاب النبي صلى الله عليـه وسـلم، أنهم كـانوا يقـترئون مـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم عشـر آيـات، فلا يأخـذون فـي العشـر الأخـرى حـتى يعلموا ما في هذه من العلـم والعمـل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل[39].

فمهمـة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم البلاغ اللفظـي والمعنـوي، وقـد قـام بمهمـة البلاغ بشـقيها خيـر قيـام، عليه الصلاة والسلام.

* * *

الفصـــل الــرابع

تفسير الصحابة للقرآن الكريم

إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا عربًا، يعرفون بالسليقة معاني الكلام العربي، فبمجرد سماعهم الكلام العربي يفقهونه؛ ولذلك كان الكفار في مكة يعرفون عموم معاني الكلام العربي والقرآن، والله عز وجل يقول عن القرآن: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ ▪ عَلَى قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ ▪ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)** [الشعراء:193-195]، وقال تعالى: **(وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَومِهِ)** [إبراهيم:4]، ومن هنا فإن العرب -حتى الكفار منهم- فهموا القرآن من حيث الجملة؛ ولذلك ردوه حيث خالف أهواءهم.

وكانوا أيضًا يفهمون معنى: "لا إله إلا الله"، فلمَّا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم: "**يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله**"[40]، عرفوا أن معناها: لا عبودية إلا لله، فلا معبود بحق إلا الله، ولا أحد يستحق العبادة إلا الله؛ ولذلك رفضوها، وقالوا: **(أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَابٌ)** [ص:5].

إن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قارن بين مسلمي هذا الزمان ومشركي الأولين، فقال: إن الأولين كانوا أعلم بمعنى "لا إله إلا الله" ممن ينسبون إلى الإسلام في هذا الزمان.

فأبو جهل وأبو لهب يفهمون معانيها في اللغة العربية، لكن كثيرًا من المنتسبين إلى الإسلام في هذا العصر ومنذ عصور يقولون: لا إله إلا الله، ولا يفهمون منها حتى المعنى الذي فهمه أبو جهل وأبو لهب. يفهم كثير من المسلمين معنى لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله. وهذا جزء من معناها، لكن المعنى الأصلي الذي أنكره المشركون هو إفراد الله في العبادة.

فالصحابة كانوا عربًا أقحاحاً، يفهمون معاني الكلام؛ ولذلك فهموا كثيرًا من القرآن الكريم بمجرد تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم له، كما أن العربي اليوم يفهم بالسليقة من القرآن الكريم أشياء كثيرة لا يحتاج معها إلى الرجوع إلى كتب التفسير.

فأنت -مثلاً- إذا سمعتَ كلام الله تعالى عن الجنة، عن النار، عن الرسل، عن القرآن الكريم، عن المواريث... فهمت معناها مباشرة بمجرد سماعها، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون أيضًا وراء ذلك أشياء كثيرة.

أسباب اختلاف الصحابة في فهم القرآن الكريم:

إن الصحابة الكرام كانوا أكثر الناس فهمًا لكتاب الله عز وجل، ومع ذلك فإنهم كانوا يتفاوتون في فهمهم للقرآن الكريم لأسباب كثيرة؛ ولذلك كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن أشياء من القرآن مما يحتاجون إلى بيانه، فيبينه لهم، ومن أسباب اختلافهم - رضي الله عنهم - في فهمهم للكتاب العزيز:

أولاً: تفاوتهم في مداركهم وعقولهم:

فإن الله تعالى قسَم بين الخلق أرزاقهم وأخلاقهم وعقولهم؛ فهذا عقله كبير عبقري نابغة، وآخر دون ذلك.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يشتركون في قدر من العلم بالقرآن، إلا أن بعضهم كان يفوق بعضًا في ذلك.

وفي الصحيحين أن عليًّا رضي الله عنه سئل: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ فقال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة" -إشارة إلى صحيفة معلَّقة في سيفه-، فقال السائل:"وما في هذه الصحيفة؟"، قال: "العقل -يعني الديات-، وفكاك الأسير، وألا يُقتل مسلم بكافر"[41].

والشاهد قوله: "إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن"، إذًا قد يُؤتى أحد الصحابة -أو غيرهم- من الفهم ما لم يؤته غيره.

وفي الصحيح أن ابن عباس رضي الله عنهما وضع للنبي صلى الله عليه وسلم طهوره، فقال: "**من وضع هذا؟**" قالوا: "ابن عباس"، وكان شابًّا دون الحُلُم في ذلك الوقت، فأُعجب النبي صلى الله عليه وسلم بعمله وذكائه وأدبه، فدعا له قائلاً: "**اللهم فقِّههُ في الدين، وعلمه التأويل**"[42]، فكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يشق له غبار في فهمه لكتاب الله تعالى، وله في ذلك قصص وأخبار، لعل من أعجبها وأطرفها قصته مع نافع بن الأزرق الخارجي.

وذلك أنه سأل ابن عباس عن أشياء كثيرة في كتاب الله عز وجل، وكلّما أجابه قال: هل تعرف ذلك العرب في كلامها؟ فيقول: نعم، ثم يستشهد ابن عباس بأبيات من أبيات العرب، وهي من محفوظه، وهي عجب من العجب[43].

ولتفاوتهم في مداركهم تجد الاختلاف بينهم، فقد اختلف الصحابة في معاني آيات كثيرة، وفهم بعضهم من معاني الآيات خلاف ما تدل عليه، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك.

ثانيًا: اختلافهم في فهم اللغة العربية:

فـإنهم وإن كـانوا عربًـا إلا أنهـم متفاوتون في التوسع في فهـم اللغـة العربية، وألفاظها، ومعانيها.

ولـذلك جـاء فـي تفسـير الطـبري وغيره: أن عمر بن الخطاب قرأ قول اللـه تعـالى: **(ثُـمَّ شَـقَقنَا الأرضَ شَقًّا ▪ فَأَنبَتنَـا فِيهَـا حَبًّـا ▪ وَعِنَبًـا وَقَضـــــبًا ▪ وَزَيتُونًـــــا وَنَخلاً ▪ وَحَـدَائِقَ غُلبًـا ▪ وَفَاكِهَـةً وَأَبًّـا)** [عبـس:26-31]، فقـال: "قـد عرفنـا الفاكهـة، فمـا الأبّ؟"، ثـم رجـع إلـى نفسـه وقـال: "واللـه إن هـذا لهـو التكلُّف ياعمر!"[44].

فما كان يعرف الأبّ، أي نوع من أنواع النباتات هو؟[45].

وفي رواية: أن أبا بكر رضي الله عنه سئل عن هذه الآية، فقال: "أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إن قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم؟"[46].

فكانوا يتفاوتون في فهمهم للغة العربية، كما كانوا يتفاوتون في فهمهم لمراد الله تعالى بالآية.

وهذا عدي بن حاتم رضي اللـه عنـه لمَّا سـمع قـول اللـه تعـالى: **(وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيطُ الأبيَضُ مِنَ الخَيـطِ الأسـوَدِ مِـنَ الفَجرِ)** [البقرة:187]، فهم أن الخيط هو الحبـل المعـروف، فلمَّـا نـام وضـع تحت وسـادته حبليـن: أحـدهما أبيـض والآخر أسود، فلمـا قـام لكـي يتسـحر وضـع الخيطيـن بجـواره، وصـار يأكـل وينظــر حــتى أســفر، وصــار يعــرف الأبيض من الأسود.

فلمّا أصبح غدا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره بالخبر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**"[(47)] -الخيط الأبيض هو النهار والخيط الأسود هو الليل-، فإذا بان لك النهار -يعني طلع الصبح- فأمسِك.

فهذا من اختلافهم في فهم مراد الله تعالى؛ لأن اللغة العربية تحتمل أن يكون الخيط هو الحبل، ويحتمل أن يكون المقصود هو الليل والنهار، فعديٌّ فهم الأول، فبيَّن له الرسول عليه الصلاة والسلام أن المراد هو المعنى الثاني، ولا شك أن بقية الصحابة لم يفهموا هذا المعنى الذي فهمه عدي؛ ولذلك لم يقعوا في الأمر الذي وقع فيه.

ثالثًا: اختلافهم في معرفة التواريخ والأحداث والأخبار والعلوم الأخرى التي يستفاد منها في فهم القرآن الكريم:

وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى نصارى نجران يدعوهم إلى الإسلام ويعلّمهم، فكان من ضمن ما قرأ عليهم المغيرة بن شعبة سورة مريم: **(يَا أُختَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امرَأَ سَوءٍ وَمَا كَانَت أُمُّكِ بَغِيًّا)** [مريم:28]، فقال النصارى: "يا مغيرة، كيف يقول: يا أخت هارون، ومريم بينها وبين هارون قرون متطاولة؟!".

فتحيَّر المغيرة رضي الله عنه ولم يستطع أن يجيبهم، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم وسأله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**"[48]، فحلَّ له الإشكال، وبيَّن له أن هارون المذكور في الآية ليس هارون أخا موسى؛ بل هارون آخر سموه عليه؛ لأنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء؛ ولذلك يكثر مثلاً في اليهود اسم موسى وهارون.

ولا شك أن المغيرة لـو كـان يعلـم هذا لما سأل النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم عنه، لكن لمَّـا سـأله النصـارى وقع عنده الإشكال، فسأل عنه النـبي صلى الله عليه وسلم، فأجابه.

* * *

الفصـــل الخــامس

أنواع بيان السنة للقرآن الكريم

إن الرسول صلى الله عليـه وسـلم قد بَيّن فـي سـنته كـل مـا يحتـاج إلـى بيـانه مـن القـرآن، وهـل بيَّنـه كلـه أو بعضه؟

مـن العلمـاء مـن يقـول: لـم يـبين الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام مـن القرآن إلا قليلاً كما يقـول السـيوطي، ويستدلون بحديث مروي عـن عائشـة رضي الله عنها: "أن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان لا يفسِّـر شـيئًا مـن القـرآن برأيـه إلا آيًـا بعـدد"[49]، وهـذا الحـديث لا يصـح، رواه الـبزار وغيـره وهـو معلـول، فـي إسـناده محمـد بـن جعفر الزبيـري، وهـو ضـعيف لا يُحتـج بحديثه.

ومن العلماء من يقـول: إن رسـول الله صلى الله عليه وسلم بيَّن القـرآن كله، ومقصـودهم بـأنه بيَّـن مـا يحتـاج إلى بيان، فهنـاك آيـات لا تحتـاج إلـى بيان لأنها بيِّنة بنفسها.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما -كما ذكر الطبري وغيره-: التفسير أربعة أوجه:

وجه تعرفه العرب من كلامها، فإذا قرئ على العرب فإنهم يفهمونه.

وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وذلك كتفسير الآيات في الأحكام والعقائد التي يحتاج الناس إلى معرفتها.

وتفسير تعلمه العلماء، وهي المعاني الخفية التي لايفقهها عامة الناس.

وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

فهذه أربعة أنواع من التفسير.

والخلاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بيَّن كل ما يحتاج الناس إلى بيانه من القرآن الكريم في سنته.

وبشكل عام فإن السنة النبوية تفسير للقرآن الكريم، وأنواع بيان السنة للقرآن على أربعة أضرب:

الأول: بيان القرآن بالقول (بالنص):

وذلك بأن يبيِّن الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن بقوله، وهذا كثير جدًّا، حتى صنَّف فيه العلماء مصنفات مستقلة، مثل: تفسير عبد بن حميد[50]، وتفسير ابن مردويه[51]، وتفسير ابن أبي حاتم[52]، وتفسير الطبري[53]، وجمع السيوطي من ذلك أشياء طيبة في كتابه: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"[54].

وكثير من كتب السنة تفرد بابًا خاصًّا بالتفسير، فمثلاً: "جامع الأصول" لابن الأثير[55] خص َص مجلدًا تقريبًا للمروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن في الكتب الستة، وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وموطأ مالك، ولم يستقص؛ بل فرَّق بعضها في مواضع أخرى، وهو قريب من مجلد كامل.

إذًا فقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم وفسَّر أشياء كثيرة من القرآن الكريم بقوله ولفظه، ومن أمثلة ذلك:

أ- ما جاء في الصحيحين عن كعب بن عجـرة فـي تفسـير قـوله تعـالى: **(فَمَن كَانَ مِنكُـم مَرِيضًـا أَو بِـهِ أَذًى مِن رَأسِهِ فَفِديَةٌ مِن صِيَامٍ أَو صَدَقَةٍ أَو نُسُـكٍ)** [البقـرة:196]، فقـوله: (**مِن صِـيَامٍ أَو صَـدَقَةٍ أَو نُسُـكٍ**) يحتـاج إلـى تفسـير، فهـو مجمل، ما الصـيام؟ مـا مقـداره؟ مـا الصدقة؟ ما النسك؟

قال كعب: "كان بي أذى من رأسي فحُملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: **ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك ما أرى، أتجد شاة؟** فقلت: لا، فنزلت هذه الآية: (**فَفِدِيَةٌ مِن صِيَامٍ أَو صَدَقَةٍ أَو نُسُكٍ**)، قال: **صوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، نصف صاع طعامًا لكل مسكين**"[56].

فبين عليه الصلاة والسلام تفسير هذه الآية في هذا الحديث.

ب- قــوله تعــالى: (**يَــومَ يَــأتِي بَعضُ آيَـاتِ رَبِّـكَ لا يَنفَـعُ نَفسًـا إِيمَانُهَا لَم تَكُن آمَنَـت مِـن قَبـلُ أَو كَسَـبَت فِـي إِيمَانِهَـا خَيـرًا**) [الأنعام:158].

بيَّنها رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم بأن ذلك حيـن تطلـع الشـمس مــن مغربهــا، فقــال: "**لا تقــوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمــن النــاس كلهــم أجمعــون، فيومئذ (لا يَنفَـعُ نَفسًـا إِيمَانُهَـا لَــم تَكُــن آمَنَــت مِــن قَبــلُ أَو كَسَبَت فِي إِيمَانِهَا خَيرًا)**"[57].

ج- كذلك ما ورد في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: (**وَأَعِدُّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ**)، **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**"(58).

ففسر القوة بالرمي؛ والمراد الرمي بكل شيء سواء كان بالسهام كما في وقتهم، أو بالمدفعية والطائرات والصواريخ في وقتنا هذا.

د - ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**"، فقالت عائشة رضي الله عنها: "يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: **(فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ▪ فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)؟**" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب**"[59].

فـبيَّن صـلى اللـه عليـه وسـلم أن المقصـود بالحسـاب اليسـير، هـو أن تعرض على العبد أعمـاله وذنـوبه ولا يناقش فيها، وإلاَّ لو نـوقش الحسـاب عُذِّب.

هـ - ومـا جـاء فـي الصـحيحين مـن حديث البراء، في تفسير قوله تعالى: (**يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُـوا بِـالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَـاةِ الـدُّنيَا وَفِـي الآخِرَةِ**).

قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: "**إذا أُقعد المـؤمن فـي قـبره، أُتـي، ثم شهد أن لا إلـه إلا اللـه، وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: (يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُـوا بِـالقَولِ الثَّابِتِ)**"[60].

وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا.

الثاني: ما جاء في السنة النبوية استنباطًا واستقراء من القرآن الكريم:

أحيانًا تكون المعاني الواردة في النصوص النبوية تفصيلاً لمعاني آيات الكتاب العزيز، وهذا الضرب لطيف، فتأتي إلى معنى جاء في السنة فتستخرج من القرآن ما يدل عليه، وهذا أسلوب لطيف عُني به الحافظ ابن كثير في تفسيره.

وبعض طلبة العلم فـي هـذا العصـر يحاولون أن يجمعوا كتابًا يشمل كل مـا ورد فــي الســنة النبويــة ممــا يعتــبر مستخرجًا من القرآن الكريم اسـتنباطًا من النبي صلى الله عليه وسلم، ومـن لطيف ذلك:

أ - قوله صلى الله عليه وسلم -كما فـي الصـحيح-: "**أقـرب مـا يكـون العبـد مـن ربـه وهـو سـاجد**"[61]، ففي القرآن الكريم آية تدل على هــذا المعنـى، وهـي قـوله تعـالى: (**كَلاَّ لا تُطِعـهُ وَاسـجُد وَاقتَـرِب**) [العلـق: 19].

ب - أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم -كما في صحيح مسلم-: "**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء**"[62].

فالآية التي تـدل علـى هـذا المعنـى هـي قـوله تعـالى: (**وَاستَفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَـوتِكَ وَأَجلِـب عَلَيهِم بِخَيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَـارِكهُم فِـي الأَمـوَالِ وَالأَولادِ وَعِـدهُم)** [الإسـراء:64]ـ فمـن مشـاركته فـي الأمـوال، أن يأكـل الشـيطان ويشـرب وينام معك، إذا لم تذكر الله تعالى.

ج- أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا**"[63]، والحديث نفسه جاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود[64]، فكأن الحديث تفسير للصلاة الوسطى الواردة في قوله تعالى: (**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسطَى**) [البقرة:238].

وفي القرآن الكريم آيـة تـدل علـى هذا وهي قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لِيَسـتَأذِنكُمُ الَّـذِينَ مَلَكَـت أَيمَانُكُم وَالَّذِينَ لَم يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُم ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبلِ صَلاةِ الفَجرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِنَ الظَّهِيـــرَةِ وَمِـــن بَعـــدِ صَـــلاةِ العِشَاءِ)** [النور:58].

ويمكن أن يستأنس بهذه الآية على أن الرسول صلى الله عليه وسلم فهم أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر من القرآن الكريم، فهذه الآية تدل على أن الأوقات تبتدئ بالفجر وتنتهي بالعشاء... إذًا يكون الوقت الأوسط هو العصر، وقبله الفجر والظهر، وبعده المغرب والعشاء، فقد بدأ الله تعالى بقوله: (**قَبلِ صَلاةِ الفَجرِ**)، وانتهى بقوله: (**وَمِن بَعدِ صَلاةِ العِشَاءِ**)، فأول الأوقات هو الفجر وآخرها العشاء.

ولذلك كان مستحبًا عند بعض الفقهاء وكثير من المحدثين في ذكر المواقيت في كتب الفقه، أن يبدأوا بميقات صلاة الفجر، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، ثم العشاء.

د – ومنه أن بني سلمة -وهم حي من الأنصار- أرادوا أن يتحولوا بمنازلهم قرب مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم، فلمَّا علم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم، قال: "**يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم**"[65]، يعني: الزموا دياركم وابقوا فيها.

وكأنه صلى الله عليه وسلم كره أن يخلوا أنحاء المدينة، وأحب أن يكون أهل الخير منتشرين في البلد، ولا يكونون موجودين فقط حول المسجد، وتخلو بقية الأحياء عنهم.

وقد يكون صلى الله عليه وسلم فهم ذلك واستنبطه من قوله تعالى: **(إِنَّا نَحنُ نُحيِي المَوتَى وَنَكتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُم)** [يس:12]، فمن الآثار التي تُكتب خطى الإنسان إلى المسجد ذهابًا وإيابًا.

هـ- أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم -: "**لا يمس القرآن إلا طاهر**"[66]، والحديث حسن بمجموع طرقه وله ما يشهد له، والمقصود بالطاهر على الراجح من أقوال أهل العلم الطاهر من الحدثين الأكبر والأصغر.

فقد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم استنبط ذلك من قوله تعالى: **(إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ ▪ فِي كِتَابٍ مَكنُونٍ ▪ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ ▪ تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ)** [الواقعة:77-80]، فقوله: **(إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ)** كل ما بعده وصف له، فهو (**فِي كِتَابٍ مَكنُونٍ**)، وهو **(لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ)**، وهو **(تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ)**؛ ولذلك استدل أهل العلم على تحريم مس المصحف لغير المتوضئ بهذه الآية.

الثالث: بيان أسباب نزول القرآن الكريم:

ولا شك أن من يعلم سبب نزول القرآن يكون أقدر على فهم الآيات، وربطها بسبب النزول، ومعرفة على أي وجه أُنزلت، وأضرب على ذلك بعض الأمثلة:

أ- مـا رواه البخـاري ومسـلم فـي صحيحيهما عن الزهري عن عروة بن الزبير أنه قال: "سـألت عائشـة رضـي الله عنها، فقلت لها: أرأيـت قـول اللـه تعـالى: **(إِنَّ الصَّـفَا وَالمَـروَةَ مِـن شَـعَائِرِ اللـه فَمَـن حَـجَّ البَيـتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلا جُنَـاحَ عَلَيـهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا)** [البقـرة:158]، فـوالله مـا علـى أحـد جنـاح أن لا يطُـوف بالصـفا والمروة، قالت: بئس ما قلـت يـا ابـن أختي، إن هذه لو كانت كما أوَّلتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهمـا، ولكنها أُنزلت في الأنصار، كانوا قبـل أن يسلموا يهلُّون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المُشَـلَّل، فكـان مـن أهـلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلمـا

أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: **(إِنَّ الصَّفَا وَالمَروَةَ مِن شَعَائِرِ الله)** الآية.

قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

ثم أخبرتُ أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعتُه، ولقد سمعتُ رجالاً من أهل العلم يذكرون: أن الناس -إلا من ذكرت عائشةُ ممن كان يهل بمناة- كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: **(إن الصفا والمروة من شعائر الله)** الآية.

قال أبو بكر: فأسمعُ هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما؛ فـي الـذين كـانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهليـة بالصـفا والمروة، والذين يطوفـون ثـم تحرجـوا أن يطوفوا بهما في الإسلام، مـن أجـل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا، حتى ذكر ذلك بعد مـا ذكـر الطواف بالبيت"[67].

إذن الآيــة نزلــت لأمريــن: الأول: لتقــول للأنصــار: طوفــوا بيــن الصــفا والمروة خلافًا لمـا كنتـم تفعلـونه فـي الجاهلية يوم أن كنتم تُهلُّون لمناة.

والثاني: لتقول للمهاجرين ولسائر المسلمين: طوفوا بالصفا والمروة وإن كنتم تطوفون بهما في الجاهلية؛ لأن هذا من شعائر الله، وليس من عادات الجاهلية.

فمعرفة سبب النزول هاهنا تبين معنى الآية بيانًا شافيًا.

ب- قــوله تعــالى: (**لَيــسَ عَلَيكُــم جُنَاحٌ أَن تَبتَغُوا فَضلاً مِن رَبِّكُم فَإِذَا أَفَضتُم مِن عَرَفَاتٍ فَــاذكُرُوا اللهَ عِندَ المَشعَرِ الحَرَامِ**) [البقــرة: 198]، ما هو المقصود بالفضل؟ يحتمل أن يكون هو الذكر، والـدعاء، والأجــر... والآية شاملة جامعة لهذا كله، لكن مــن معاني الفضل التجارة في الحج.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثَّموا أن يتَّجروا في المواسم، فنزلت: (**لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَبتَغُوا فَضلاً مِن رَبِّكُم**) في مواسم الحج"[68]، أي ليس عليهم جناح أن يذهبوا للحج ويتاجروا فيه، فبيَّن سببُ النزول معنى الآية.

ج- قوله تعالى: **(لَمَسجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقوَى مِن أَوَّلِ يَومٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ)** [التوبة:108]، ما المقصود بالتطهر؟

ثبت عند أبي داود والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه، أن هذه الآية نزلت في أهل قباء، قال: "كانوا يستنجون بالماء"[69]، يعني: يستخدمون الماء في الاستنجاء.

وفي رواية عند البزار: "أنهم كانوا يتبعون الحجارة بالماء"[70]، وهذه رواية ضعيفة جدًّا. فلم يكونوا يتبعون الحجارة بالماء، يعني يستنجون بالحجارة ثم الماء؛ بل كانوا يستنجون بالماء لا بالحجارة.

د- قوله تعالى: **(يَومَ يُسحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَاهُ بِقَدَرٍ)** [القمر:48، 49].

هذه الآيـة يسـتدل بهـا أهـل السـنة والجماعة على إثبـات القـدر، وأن كـل شيء بقدر، أي بقضـاء مـن عنـد اللـه تعالى، وقد رأيت بعض من ينكر ذلـك، يقـول: إن معنـى الآيـة خلقنـاه بقـدر، يعنــي مقــدرًا مفصــلاً مناســبًا لأوانــه وزمانه، ولا مانع بأن يكـون هـذا جـزءًا من معنى الآية، لكن أيضًا بقدر يعنــي: مكتوب عند الله تعالى.

والذي يفصل في هذا ويبيِّن المعنى الصحيح للقدر، ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر، فنزلت: (**يَومَ يُسحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ▪ إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَاهُ بِقَدَرٍ**)"[71].

الرابع: بيان القرآن بالفعل:

قال بعض الأئمة المهتدين فـي هـذا العصر -لمَّا سئل عن تفسير القــرآن-: أعظم كتاب يُفهم منه تفسـير القــرآن هو سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عبــارة عــن ترجمــة عمليــة للقــرآن الكريـم، بـأقواله، وأفعـاله، وتقريراتـه عليه الصلاة والسلام.

ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم، قالت: "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[72] ويقول جابر أيضًا في حديثه الطويل في سياق حجة النبي صلى الله عليه وسلم-: "ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به"[73]، يعني في الحج وغير الحج.

ومن أمثلة أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم التي هي تفسير للقرآن:

أ - صلاته عليه الصلاة والسلام، فقد صلى وقال: "**صلوا كما رأيتموني أصلي**"[74]، فالصلاة كلها داخلة تحت قوله تعالى: **(وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ)** [البقرة:43]، وصلاته تفسير لهذه الآية.

ب - حجه عليه الصلاة والسلام، فقد حجَّ وأدى المناسك كلها؛ من الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف، والنحر، وغيرها...، وقال: "**خذوا عني مناسككم**"[75]، فكل أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحج داخلة في تفسير قوله تعالى: **(وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ)** [آل عمران:97].

ج - وهكـذا بيَّـن لنـا أحكـام الصـيام بعمله صلى اللـه عليـه وسـلم، فكلهـا داخلــة تحــت قــوله تعــالى: **(كُتِــبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ)** [البقرة:183].

د- وبيَّن لنـا مقـادير الزكـاة، فكلهـا تفسير لقوله تعالى: **(وَآتُوا الزَّكَـاةَ)** [البقرة:43].

هـ. ومن الأمثلة التفصيلية لذلك:

يقــول اللــه تعـالى: **(أَقِمِ الصَّـلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيــلِ وَقُـرآنَ الفَجـرِ إِنَّ قُـرآنَ الفَجـرِ كَانَ مَشـهُودًا)** [الإسـراء:78]، هـذه الآية تحدد مواقيت الصلوات الخمس.

وقد أتاه صلى الله عليه وسلم سائل يسأله عن مواقيت الصلاة، فلم يرد عليه شيئًا: فأقام الفجر حين انشق الفجر، والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضًا، ثم أمره فأقام بالظهر حين زالت الشمس، والقائل يقول: "قد انتصف النهار" وهو كان أعلم منهم، ثم أمره فأقام بالعصر والشمس مرتفعة، ثم أمره فأقام بالمغرب حين وقعت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق.

ثم أخَّر الفجر من الغد، حتى انصرف منهـا والقائـل يقـول: "قـد طلعـت الشمس أو كادت"، ثم أخَّر الظهر حـتى كان قريبًا من وقت العصر بالأمس، ثـم أخَّر العصر حتى انصرف منها والقائل يقول: "قد احمرَّت الشمس"، ثـم أخَّـر المغرب حتى كان عند سقوط الشفق، ثم أخَّر العشاء حتى كان ثلث الليل الأول، ثم أصبح فدعا السائل، فقال: **"الوقت بين هذين"**(76).

و- ومثله أيضًا: قول الله عز وجل عن السعي بين الصفا والمروة في الحج: **(فَلا جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِما)** [البقرة:185]، وهذا يدل على أنه لا يحرم السعي بين الصفا والمروة ولا يجب أيضًا، لكن لما فعله صلى الله عليه وسلم عُلِم أنه واجب؛ ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها -كما سبق-: "ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته، لم يَطُف بين الصفا والمروة"(77).

فكل أفعاله وأقواله صلى الله عليه وسلم هي بيان للقرآن الكريم؛ ولذلك قال الشافعي رحمه الله: "كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن"(78).

وبـذلك نعلـم أن القـرآن والسـنة متلازمان ، لا يفترقان إلى يوم القيامة، ولا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، وأنـه لا يمكن أن نفهـم القـرآن إلا علـى ضـوء السنة.

نسأل الله تعـالى أن يرزقنـا الفقـه فـي كتـابه والعمـل بـه، وصـلى اللـه وسـلم علـى نبينـا محمـد، وعلـى آلـه وصحبه وسلم.

* * *

فهرس

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــــوع الصفحة

مقـدمة 3

الفصـــل الأول: خصـــائص القرآن الكريم 6

الخاصــية الأولــى: الحفـــظ 7

الخاصــية الثانيــة: الشــمول والكمال 9

الخاصـــية الثالثـــة: الحـــق المطلق 10

الفصل الثاني: عناية الأمـة بتفسير القرآن الكريم 14
عنايـــة الصـــحابة بتفســـير القرآن الكريم 14
عناية التابعين بتفسير القرآن الكريم 16
المصـــنفات فـــي التفســـير 17
الفصـــل الثـــالث: البلاغ النبوي للقرآن الكريم . 20
أولاً: بلاغ الألفـــــــــــــاظ 21
ثانيًـــــــا: بلاغ المعـــــــاني 24
الفصـــل الرابـــع: تفســـير 28

الصحابة للقرآن الكريم ..

أسباب اختلاف الصحابة في فهم القرآن الكريم 30

الفصل الخامس: أنواع بيان السنة للقرآن الكريم 37

الأول: بيان القرآن بالقول (بالنص) 39

الثاني: ما جاء في السنة النبوية استنباطًا واستقراءً من القرآن الكريم 42

الثالث: بيان أسباب نزول القرآن الكريم 47

الرابع: بيان القرآن بالفعل 52

فهرس 57

.....
الهوامش 59
.....

* * *

الهــوامش

[1] أخرجه أحمد (17174)، والدارمي (606)، وأبو داود (4594)، والترمذي (2664)، وابن ماجة (12)، والمروزي في السنة (244)، والطبراني في مسند الشاميين (1061)، من حديث المقدام بن معديكرب الكندي. قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. اهـ، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2643).

[2] أخرجه الدارمي (3399)، وعبد الله بن أحمد في السنة (128)، والترمذي (2926)، والبيهقي في شعب الإيمان (2015)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ ، وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي (8/197): قال الحافظ في الفتح بعد ذكر هذا الحديث: رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف اهـ. قلت: وفي سنده محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني وهو أيضًا ضعيف. قال الحافظ في تهذيب التهذيب في ترجمته: قال الذهبي: حسَّن الترمذي حديثه فلم يَحسُن. اهـ.

[3] تفسير القرطبي (10/5، 6).

[4] أخرجه ابن غزوان في الدعاء (15)، وابن ماجة (4049)، ونعيم بن حماد في الفتن (1665)، والبزار (2838)، والحاكم (8460)، والبيهقي في شعب الإيمان (2028)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (1/400)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (4/194): إسناد صحيح رجاله ثقات.اهـ، وقد صحح الحديث الألباني في صحيح الجامع (8077).

[5] اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. وأكثر من روي عنه من الخلفاء الأربعة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والرواية عن الثلاثة الأولين قليلة جدًّا. انظر: الإتقان (2/493).

[6] عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وتوفي رضي الله عنه سنة (68)هـ. انظر: الإصابة (4/141-151).

[7] أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (32220)، وأحمد في فضائل الصحابة (1556)، والحاكم في المستدرك (6291)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (126)، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس". قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. اهـ.

[8] أخرجه البخاري (143)، ومسلم (2477)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

[9] انظر: الإصابة (4/141-151).

[10] عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أحد السابقين الأولين، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، وحدّث عنه بالكثير. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سرّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما نزل، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد" أي: ابن مسعود.

توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة (32)هـ. انظر: الإصابة (4/233-235).

[11] أخرجه مسلم (2464) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

[12] رواه البخاري (5000)، ومسلم (2462)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[13] أخرجه البخاري (5002)، ومسلم (3463)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[14] ومنهم أيضًا: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر ابن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

[15] عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي، أسلم قديمًا وهو صغير وهاجر مع أبيه، واستصغر في أحد ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها، توفي سنة (73)هـ. انظر: تهذيب التهذيب (5/287، 288).

[16] الموطأ (477).

[17] مجاهد بن جبر، الإمام شيخ القراء والمفسِّرين، أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القارئ، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، توفي وهو ساجد سنة (104)هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (4 /449-456).

[18] انظر: تفسير ابن كثير (1/6).

[19] أخرجه ابن سعد في الطبقات (2/395)، وابن أبي شيبة (30287)، وأحمد في فضائل الصحابة (1867)، والدارمي (1160)، والطبري في التفسير (2/395)، والحاكم في المستدرك (3105)، وأبو نعيم في الحلية (3/279)، عن مجاهد رحمه الله.

[20] قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة ابن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسِّرين والمحدِّثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، كان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا. وكان رحمه الله يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة. قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالمًا بالتفسير وباختلاف العلماء. توفي بواسط سنة (117)هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (5 /269-282)

[21] عكرمة الحبر العالم أبو عبد الله البربري ثم المدني الهاشمي، مولى ابن عباس. قال عكرمة: طلبت العلم أربعين سنة، وكان ابن عباس

يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن، وعن الشعبي قال: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، وكان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا ما دام عكرمة بالبصرة. مات رحمه الله بالمدينة سنة (107)هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (1/95، 96).

22 السُّدي إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسِّر، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش. قال إسماعيل بن أبي خالد: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله، ومرَّ إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسِّر، فقال: إنه ليفسِّر تفسير القوم. مات سنة (127)هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (5/264، 265).

23 اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون، فمنهم:

- أهل مكة: وهم أتباع ابن عباس، كمجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح.

- أهل المدينة: وهم أتباع أبيّ بن كعب، كزيد بن أسلم، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

- أهل الكوفة: وهم أتباع عبد الله بن مسعود، كقتادة، وعلقمة، والشعبي.

24 ومن ذلك: البحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري، والبسيط للواحدي.

25 ومن ذلك: أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

26 ومن ذلك: جامع البيان للطبري، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعالبي، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير.

27 هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ابن أحمد بن الخليل الهمداني الأسرباذي الشافعي، شيخ المعتزلة. توفي سنة (415)هـ.

انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص 59، 60.

[28] ويسمى تنـزيه القرآن عن المطـاعن، ونجـد فيـه تـأثر مـؤلفه العظيـم بمذهبه الاعـتزالي، فلا يكـاد يمـر بآيـة تعـارض مـذهبه إلا صـرفها عـن ظاهرها، ومال بها إلى ناحية مذهبه.

[29] أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمـد بـن عمـر الخـوارزمي، الإمــام الحنفي المعتزلي، الملقَّـب بجـار اللـه، تـوفي سـنة (538)هـ . انظـر: طبقات المفسرين للسيوطي ص 120، 121.

[30] وهذا التفسير (الكشاف) محشو بالبدعة، وعلى طريقـة المعتزلـة مـن إنكار الصفات والرؤية، والقـول بخلـق القـرآن، وإنكـار أن اللـه تعـالى مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة.

ومع ذلك فهو تفسير لم يُسبق إليه؛ لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية مـن القـرآن، ولمـا أظهـر فيـه مـن جمـال النظـم القرآنـي وبلاغته.

[31] أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسـن بـن علـي، الإمـام فخر الدين الرازي القرشي البكري، الشافعي المفسّر المتكلّم. تـوفي سنة (606)هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص 115.

[32] ويسمى مفاتيح الغيب، قال السيوطي: "وقد ملأ تفسيرَه -أي الـرازي- بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شـيء؛ حـتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية، قال أبو حيان في البحر: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بهـا فـي علـم التفسـير؛ ولـذلك قـال بعـض العلمـاء: فيـه كـل شـيء إلا التفسير!". انظر: الإتقان (2/501).

[33] ومــن تفاسـير الصــوفية أيضًـا: تفسـير القــرآن العظيـم للتســتري، وعرائس البيان في حقائق القرآن للشيرازي.

[34] الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري، فيه خروج بالقرآن عن قصده، وانحراف به عن هدفه، وهـو أحـد التفاسـير

المعاصرة التي تمثل الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم، ومن هـذه التفاسير أيضًا: "كشف الأسرار النورانية القرآنيـة" للإمـام الفاضـل محمد بن أحمد الإسكندراني، و"طبائع الاسـتبداد ومصـارع الاسـتبعاد" للكواكبي، و"إعجاز القرآن" للرافعي.

35 أخرجه البخاري (7524)، ومسلم (448)، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

36 أخرجه مسلم (746) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

37 الرسالة للشافعي ص 77، 78.

38 زيد بن خالد الجهني، اختلف في كنيته وفي وقت وفاته اختلافًا كـثيرًا، فقيل: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا طلحة، وقيل: أبا زرعة، كان صاحب لواء جهينة يوم الفتح، توفي بالمدينة سنة (68)هـ، وقيل: بل مات بمصر سنة (50)هـ، وقيل: توفي بالكوفة في آخر خلافة معاوية، وقيل: توفي سنة (78)هـ، وقيل: سنة (72)هـ. انظر: الاستيعاب (2/549).

39 أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (29929).

40 حديث صحيح أخرجه أحمد (16023)، والحـاكم (38،39) من طرق، عن ربيعة بن عباد الدؤلي.

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (36565)، وابن حبان (14/518)، وابن خزيمة (159)، والضياء في المختارة (143)، وغيرهم، مـن حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه.

41 أخرجه البخاري (3047)، ومسلم (1370)، من حديث أبـي جحيفـة السوائي رضي الله عنه.

42 تقدّم تخريجه.

43 انظر: الإتقان (1/347-377).

44 أخرجه سعيد بن منصور (43)، وابن أبي شيبة (30105)، والطبري في التفسير (30/59-61)، والحاكم (3897)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال الحاكم: حديث صحيح. اهـ.

45 الأب: هو ما تأكله البهائم من العشب والنبات. انظر: تفسير الطبري (30/59).

46 أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (30103)، والخطيب البغدادي في الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع (2/193).

47 أخرجه البخاري (1916)، ومسلم (1090)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري (1917)، ومسلم (1091)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه بدون ذكر اسم عدي رضي الله عنه، ولفظ الحديث: "كان الرجل يأخذ خيطًا أبيض وخيطًا أسود".

48 أخرجه مسلم (2135) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

49 أخرجه البزار -كما في المجمع- (6/303)، وأبو يعلى (4528)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (13/253)، وابن القيسراني في المؤتلف والمختلف (1/171).

50 هو الإمام الحافظ الحجة أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي ويقال له: الكشي بالفتح، يقال: اسمه عبد الحميد. توفي سنة (249)هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (12/235، 236).

51 هو الحافظ المجود العلامة ومحدث أصبهان، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر الأصبهاني، المتوفى سنة (410)هـ، وتفسيره في القرآن في سبع مجلدات. انظر: سير أعلام النبلاء (17/308-310).

52 هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي.

توفي سنة (327)هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (3/829-831).

53 جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، رأس المفسّرين على الإطلاق.

ويعتبر هذا التفسير أجلّ التفاسير، لم يؤلَّف مثله، كما ذكره العلماء قاطبة، ومنهم النووي في تهذيبه؛ وذلك لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية، ولم يشاركه في ذلك أحد لا قبله ولا بعده. انظر: طبقات المفسّرين للسيوطي ص 95، 96، والإتقان له (2/501، 502).

كما يعتبر هذا التفسير المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي.

54 الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المتوفى سنة (911)هـ.

وفي هذا الكتاب سرد السيوطي الروايات عن السلف في التفسير بدون أن يعقِّب عليها، فهو كتاب جامع فقط لما يروى عن السلف في التفسير، أخذه السيوطي من البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وأحمد، وأبي داود، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وغيرهم ممن تقدمه ودوَّن التفسير.

55 جامع الأصول لأحاديث الرسول، لأبي السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري الشافعي، المتوفى سنة (606)هـ.

56 أخرجه البخاري (1815)، ومسلم (1201)، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

57 أخرجه البخاري (4636)، ومسلم (157)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

58 أخرجه مسلم (1917) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

[59] أخرجه البخاري (6537)، ومسلم (2876)، من حديث أم المـؤمنين عائشة رضي الله عنها.

[60] أخرجه البخاري (1369)، ومسـلم (2871)، مـن حـديث الـبراء بـن عازب رضي الله عنه.

[61] أخرجه مسلم (482) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[62] أخرجه مسلم (2018) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[63] أخرجه البخاري (6396)، ومسلم (627)، من حديث علـي بـن أبـي طالب رضي الله عنه.

[64] أخرجه مسلم (628) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[65] أخرجه مسلم (665) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[66] أخرجه البيهقي فـي شـعب الإيمـان (2111)، واللالكـائي فـي شـرح أصول الاعتقاد (572)، وابن الجوزي في التحقيق في أحاديث الخلاف (260)، من حديث أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عـن جده رضي الله عنه.

وأخرجه مالك في الموطأ (468)، وأبو داود في المراسـيل (2111)، من حديث أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم من قوله مرسلاً.وقال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك فـي إرسـال هـذا الحـديث، وقـد روي مسندًا من وجه صالح. اهـ.

وأخرجه الطبراني (3135)، والحاكم (6051)، من حديث حكيم بـن حزام.

وأخرجه الطـبراني في الكـبير (13217)، والصغير (1162)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وأورده الهيثمي فـي مجمـع الزوائد (1/276) وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير ورجاله موثقون. اهـ.

67 أخرجه البخاري (1643)، ومسلم (1277)، من حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

68 أخرجه البخاري (4519) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

69 أخرجه أبو داود (45)، والترمذي (3100)، وابن ماجة (357)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه. اهـ.

70 أخرجه البزار (كما في نصب الراية-1/217)، قال البزار: هذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه عن الزهري إلا محمد بن عبد العزيز، ولا يُعلم أحد روى عنه إلا ابنه. اهـ.

71 أخرجه مسلم (2656) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

72 تقدم تخريجه.

73 أخرجه البخاري (1651)، ومسلم (1218)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

74 أخرجه البخاري (631)، ومسلم (674)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

75 أخرجه مسلم (1777)، والبيهقي في السنن الكبرى (9307)، وغيرهما، وهذا لفظ البيهقي، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

76 أخرجه مسلم (614) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

77 أخرجه البخاري (1790)، مسلم (1277)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

78 انظر: الإتقان (2/467).